عمليات فرق التضاريس البشرية في أراضي شرق بغداد

المقدم جوناثان دي. تومسون، الجيش الأمريكي

ملحوظة لرئيس التحرير: تغيّر تعبير "عمليات نفسية" في الآونة الأخيرة إلى «دعم المعلومات العسكرية و/ إلى العمليات".

في أواخر آذار/ مارس 2009، اعتقلت قوات الأمن العراقية عادل المشهداني، وهو قائد شعبي سني لجماعة أبناء العراق، في منطقة الفضل شرق بغداد. وبينما كانت القوات الأمريكية تتوقع هذه الخطوة، فإنها لم تكن تعرف كيف سيكون رد فعل سكان الفضل على اعتقاله. وكان الفريق القتالي باللواء يخشى من أن ينظر السكان المحليون للمشهداني على أنه قائد سني شعبي اعتقل بتوجيه من رئيس الوزراء الشيعي نور المالكي. وإن صح ذلك، كان احتمال وقوع أعمال عنف قوياً. لقد عملت القوات الأمريكية بلا كلل طوال السنة المنصرمة لوقف العنف الطائفي في المنطقة، وهو مجهود بلغ ذروته بحفل إفطار خلال شهر رمضان جمع بين السنة والشيعة. وكان القلق الآن أن يتحول السكان السنة ضد قوات الأمن العراقية والأمريكية العاملة في المنطقة، مما يلحق انتكاسة بالهدف الأمريكي لتحقيق المصالحة في بغداد.

كان القادة من اللواء إلى مستوى قوات الفرسان يدركون أنهم في حاجة إلى فهم أفضل لآراء الناس في عملية الاعتقال. فمن شأن طريقة رد فعلهم أن تحدد في النهاية مسار عمل اللواء. وخلال الشهرين السابقين، عملت محللة التضاريس البشرية من فريق التضاريس البشرية التابع للفريق القتالي باللواء مع قوات فرسان خلال دوريات روتينية في حي الفضل. وبعد يومين من اعتقال المشهداني، رافق القائد عضو الفريق معه مرة أخرى لتقييم ردود فعل الواقعة. وبحديثها إلى العراقيين في أنحاء حي الفضل، علمت، أنه بدلاً من التفكير في القيام بانتفاضة شعبية ضد حكومة العراق، كان معظمهم سعيداً باعتقال المشهداني وانبهروا بأداء قوات الأمن العراقية لأنها أبدت احترافية في الحد من الأضرار الجانبية.

ومتى فهم الفريق القتالي باللواء مواقف الناس على الأرض في حي الفضل، بدأ على الفور العمل مع حكومة العراق لجلب مساعدات إنسانية وخدمات طبية إلى المنطقة. وسلم فلول جماعة أبناء العراق أنفسهم ونزعت قوات الأمن العراقية سلاحهم دون وقوع حوادث تذكر. وبحديثه إلى العراقيين العاديين

كان المقدم جوناثان دي. تومسون، الجيش الأمريكي، قائد فريق التضاريس البشرية للفريق القتالي الرابع باللواء، الفرقة الجبلية العاشرة، والفريق القتالي الثالث باللواء، الفرقة 82 المحمولة جواً، في بغداد. وهو يشغل الآن بالأركان منصب مراقب ومدرب في اللواء الثالث للتدريب على قيادة المعارك، والفرقة 75 للتدريب على قيادة المعارك، فورت شيريدان، إلينوي. نال المقدم تومسون درجة الليسانس من كلية ويتون بإلينوي.

(التقط صورة الجيش الأمريكي الأخصائي بنجامين بورين)

صورة: عضو في فريق التضاريس البشرية في وسط العراق يتحدث مع رجال عراقيين عن الأضرار التي لحقت بمدرسة أثناء مهمة استطلاع لفريق التضاريس البشرية، 15 أيلول/ سبتمبر 2009.

في الشارع، لعب فريق التضاريس البشرية دوراً دقيقاً في مساعدة اللواء على فهم البيئة العاملة وتنفيذ مسار عمل لتعزيز الدعم لحكومة العراق وقوات الأمن العراقية.

تشدد العقيدة العسكرية لعمليات الجيش في مكافحة التمرد الواردة في الكتيب الميداني (FM) 3-24، مكافحة التمرد، على أن السلوك الناجح في عمليات مكافحة التمرد يتوقف على فهم المجتمع والثقافة المحلية في منطقة العمليات. ويتعين على الجنود ومشاة البحرية أن يفهموا:

- تنظيم الجماعات الرئيسية في المجتمع.
- العلاقات والتوترات بين الجماعات.
- الأيديولوجيات والخطابات السياسية التي تتردد لدى الجماعات.
- قيم الجماعات (بما فيها القبائل)، ومصالحها، ودوافعها.
- وسائل الاتصال التي تستخدمها الجماعات (بما فيها القبائل).
- نظام الزعامة في المجتمع.[1]

هذه العوامل مجتمعة، تحدد نوعية التضاريس البشرية في بيئة العمل. ومما لاشك فيه، أنه فيما استكمل الجنود ومشاة البحرية جولات متعاقبة تبلور لديهم فهم أساسي للثقافة العراقية، والعربية، والإسلامية. غير أن التوعية الثقافية التي تلقتها الوحدات قبل الانتشار غير كافية لتوفير عمق الفهم المطلوب لمعرفة التضاريس البشرية في المنطقة التي سينتشرون فيها. إضافة إلى ذلك، فإن التضاريس البشرية عنصر ديناميكي يتغير ويتحرك باستمرار. وحتى إذا عاد الجنود إلى نفس المنطقة التي عملوا فيها الجولة السابقة، فإن التضاريس البشرية ستكون مختلفة بسبب عوامل مثل تحركات اللاجئين، والتطهير الطائفي، وغيرها من عوامل الضغط الاقتصادية الاجتماعية. ويجب على الوحدات أن تجري دراسات متعمقة حول الناس في

منطقة معينة وتقوم بتحديثها باستمرار. والواقع، أن الكتيب الميداني FM 3-24 ينص على أن العمليات الناجحة لمكافحة التمرد تتطلب أن يكون لدى الجنود ومشاة البحرية على كل مستوى قيادي ما يلي:

تقدير واضح للطبيعة والفوراق الضرورية للنزاع.

- فهم للدوافع، ونقاط القوة، ونقاط الضعف لدى المتمردين.
- معرفة بالأدوار الأخرى للاعبين الآخرين في منطقة العمليات.

وبدون هذا الفهم للبيئة، لا يمكن فهم المعلومات الاستخباراتية وتطبيقها على نحو سليم.[2]

ومن الواضح، أن فهم التضاريس البشرية له نفس أهمية فهم الخطر الذي يشكله المتمردون.

يملك الفريق القتالي باللواء طائفة من الموارد يمكن أن يستخدمها لفهم التضاريس البشرية. من بين هذه الموارد فرق ملحقة للشئون المدنية والمفرزة التكتيكية للعمليات النفسية. ويتواصل كلا هذين العنصرين مع الناس مباشرة على أساس متواصل. غير أنهما يركزان على مشروعات تطوير أو التأثير في السكان وليس على فهم الناس.

في عام 2004، اشترط القادة العسكريون استيعاب المعلومات حول العوامل الاجتماعية والثقافية المحلية حتى لا تضطر الوحدات المقبلة إلى تعلمها من جديد في كل مرة تبدأ فيها مناوبة الوحدة. وبعدها بوقت قصير، وجد قادة الوحدات أن الحاجة تدعو إلى الاستعانة بخبراء في الثقافة الاجتماعية على مستوى الفريق القتالي باللواء. لذلك، بدأت قيادة التدريب والعقيدة العسكرية بالجيش، عام 2006، في تطوير قدرات لتوفير أبحاث في العلوم الاجتماعية على هذا المستوى. وكانت هذه هي بداية نظام التضاريس البشرية كدليل على مفهوم المشروع. وفي عام 2007، تم نشر أول فريق للتضاريس البشرية في أفغانستان، أعقبته مباشرة فرق ذهبت إلى العراق.[3] وسرعان ما توسع نظام التضاريس البشرية ليوفر الدعم إلى معظم الفرق القتالية بالألوية والفرق القتالية لأفواج فيلق مشاة البحرية الأمريكية في العراق وأفغانستان. وفي الوقت ذاته، شكل نظام التضاريس البشرية فرق تحليل للتضاريس البشرية على مستوى الفرق والفيالق للفيالق المتعددة الجنسيات بالعراق. ويواصل نظام التضاريس البشرية تكليف فرق تضاريس بشرية وفرق تحليل التضاريس البشرية ميدانياً في كل من مسرحي العمليات لتزويد القيادات بمعرفة ثقافية اجتماعية.

تمثل فرق التضاريس البشرية على مستوى الفريق القتالي باللواء العنصر الرئيسي لنظام التضاريس البشرية. وبمشاركة عالم اجتماعي مؤهل أكاديمياً، يوفر فريق التضاريس البشرية إمكانيات ذات صلة لأبحاث العلوم الاجتماعية لقائد الفريق القتالي، وأركانه، ومرؤوسيه من القادة. ويوفر الفريق إمكانيات لم تكن متوفرة من قبل على هذا المستوى القيادي. وبينما كان لدى الوحدات الأعلى مستشارون ثقافيون، كان على الفرق القتالية بالألوية أن

...مكّن فريق التضاريس البشرية الفريق القتالي باللواء والقادة المرؤوسين على مستوى الكتيبة والسرية من اكتساب صورة أوضح للتضاريس البشرية.

تستحدث هذه الإمكانيات في الخفاء. غير أن الكتيب الميداني FM 3-24 يذكر، "أن الكثير من القرارات الهامة لا يتخذها الجنرالات".[4] فعلى مستوى الفريق القتالي باللواء ومستويات قيادة أدنى، يتواصل الجنود بانتظام مع المواطنين المحليين في كافة الأماكن. ومثلما بيّن

كل من العراق وأفغانستان، فإن أعمال الوحدات الصغيرة، وصغار القادة، والجنود يمكن أن يكون لها آثار استراتيجية. وبينما لا يجادل أحد في أن على كبار القادة أن يفهموا الزعماء الرئيسيين للسكان في مناطق عملياتهم، فإنه يتعين على الجنود على الأرض أن يفهموا السكان. إن فريق التضاريس البشرية عنصر رئيسي في السماح لأولئك الجنود باكتساب المعرفة الثقافية الاجتماعية المطلوبة.

ولا يخلو نظام التضاريس البشرية من الجدل. ففي الأوساط الأكاديمية، أثارت رابطة علم الإنسان الأمريكية شواغل أخلاقية إزاء إرسال علماء في علم الإنسان إلى الميدان للعمل مع الجيش الأمريكي.[5] وكان مصدر القلق الرئيسي أن أبحاث العلوم الاجتماعية سوف تستخدم في عمليات استهداف قاتلة للأفراد. وحتى في الدوائر العسكرية، تثير حاجة وفعالية النظام جدلاً؛ مثال ذلك مقال «نظرة من داخل القوات الإضافية» بقلم المقدم جيمس سي. كرايدر في عدد آذار/ مارس - نيسان/ إبريل 2009 من مجلة ميليتاري ريفيو، الذي شكك في مدى فعالية تلك الفرق.[6]

ويتركز هذا الجدل حول تحديد من هو الأفضل والأكثر فعالية في توفير الأبحاث. ورغم هذا الجدل، يوجد لدى قادة الفرق القتالية بالألوية فريق تضاريس بشرية كعنصر تمكين إضافي في العراق وأفغانستان. ويتتبع هذا المقال انتشار فريق تضاريس بشرية واحد أثناء عمله في شرقي بغداد دعماً للفريق القتالي الرابع، بالفرقة الجبلية العاشرة وبعده الفريق القتالي الثالث، بالفرقة 82 المحمولة جواً. لقد كنت قائد فريق التضاريس البشرية IZ5 من أيلول/ سبتمبر 2008 حتى حزيران/ يونيو 2009، ومن ثم أستطيع أن أصف كيف ساهم الفريق في مكافحة التمرد في منطقة من بغداد بالغة التعقيد، والتنوع، والصعوبة. وبالفعل، مكن فريق التضاريس البشرية الفريق القتالي باللواء والقادة المرؤوسين على مستوى الكتيبة والسرية من اكتساب صورة أوضح للتضاريس البشرية. ونتيجة لذلك، تمكنوا من إدراج عوامل الحركة الديناميكية للسكان المحليين في عملية صنع القرار العسكري. وبدون وجود قدرات متأصلة لأبحاث العلوم الاجتماعية، لكان القادة قد صادفوا وقتاً أكثر صعوبة في فهم الناس.

خلفية

يضم فريق التضاريس البشرية في عضويته من خمسة إلى تسعة أفراد، وهم خليط من العسكريين ومدنيين من وزارة الجيش.[7] ويتألف فريق التضاريس البشرية العادي من أربعة عناصر:

- قائد الفريق - وهو جسر بين القيادة والمدنيين في الفريق. وعادة ما يكون ضابطاً ميدانياً عاملاً في الخدمة أو ضابطاً متقاعداً.
- أستاذ علوم اجتماعية (واحد أو اثنين لكل فريق) - يقوم بتطوير خطة أبحاث وتصميم أبحاث للاستجابة لمتطلبات الوحدة من المعلومات. ويحمل أستاذ العلوم الاجتماعية درجة الدكتوراه أو الماجستير في مجال ذي صلة مثل علم الإنسان أو العلوم السياسية.
- محللين للتضاريس البشرية - ينفذون تصميم أبحاث أستاذ العلوم الاجتماعية. ويندرج معظمهم تحت فئة من فئتين: مواطنين أمريكيين متجنسين جاءوا من دول في الشرق الأوسط أو أشخاص بمهارات خاصة مثل حملهم لدرجات متقدمة في دراسات الشرق الأوسط أو مهارات التحليل العسكري الاستخباراتي.
- مدير أبحاث - يفهّرس أبحاث الفريق ويوزعه على القطاعات المناسبة من أفراد الفريق القتالي باللواء، والقيادات المرؤوسة، ومشروع نظام التضاريس البشرية.

تنصب مهمة الفريق على إجراء أبحاث في العلوم الاجتماعية تتعلق بالعمليات، والسماح للقادة باتخاذ

التقط صورة سلاح الطيران الأمريكي الرقيب أول كريستي بست

مدني مع فريق تضاريس بشرية تابع للجيش ومترجم يتحدثان مع الناس في سوق الخمسة ميل في البصرة بالعراق، 22 حزيران/ يونيو 2009.

قرارات ثقافية اجتماعية تتسم بالفطنة. ويوفر الفريق قدرات فريدة في أبحاث العلوم الاجتماعية تشمل وسائل جمع مثل المقابلات مع المخبرين وإجراء استطلاعات للرأي. كما يوفر نظام التضاريس البشرية إمكانيات أبحاث على المدى الطويل في "مراكز الأبحاث والاستحضار"، ووظيفة "أبحاث وتحليل العلوم الاجتماعية"، التي تجري أبحاثاً كمية ونوعية لدعم جهود الجمع للفرق. ولا يحل فريق التضاريس البشرية محل الشئون المدنية أو منتجات أو مهارات الوحدات من العمليات النفسية، ولكنه يكمل مهامها ويسمح للقائد بأن يفهم آثار العمليات على السكان المحليين. والواقع، أن فريق التضاريس البشرية IZ5 عمل في نفس موقع الأركان في كل من عمليات الشئون المدنية والنفسية بمقر الفريق القتالي باللواء وعمل على نحو وثيق مع الأركان في هذه القطاعات وسرية الشئون المدنية الداعمة.

تألفت المنطقة المبدئية التي عملنا بها من ثلاثة مناطق سياسية داخل بغداد: الرصافة، والكراده، و9 نيسان. ورغم أن المنطقة الجغرافية كانت صغيرة نسبياً، فإن التضاريس البشرية في هذه المناطق كانت متنوعة ومركبة على نحو غير عادي. وكانت تسود البيئة العاملة غالبية من الشيعة الذين لهم روابط وتأثيرات قوية مع مدينة الصدر المجاورة. ومع ذلك، لم يكن السكان الشيعة متجانسين سياسياً. ففي المناطق التي تغلب عليها الطبقة المتوسطة، كانت الشوارع مزينة بملصقات انتخابية لعبد العزيز الحكيم، زعيم المجلس الإسلامي الأعلى للعراق. وبالقرب من مدينة الصدر كانت الملصقات لعائلة الصدر، تضم مقتدى الصدر. كما امتدت روابط الشيعة إلى الأجزاء الجنوبية من البلاد بالنظر لأن قبائل من الأهوار الجنوبية انتقلت شمالاً إلى بغداد

قبل عقود مضت. واحتفظت بثقافتها (وفي الأحوال القصوى بأساليب حياتها التقليدية وجواميسها) إلى جانب الاتصالات القبلية مع العائلات التي بقيت في الجنوب. علاوة على ذلك، كانت هناك تجمعات مكثفة من العرب السنة في الأجزاء الغربية من المنطقة، بالقرب من نهر دجلة. وكانت هناك كذلك مجموعة صغيرة ولكنها مهمة من السكان المسيحيين وجالية فلسطينية معزولة.

كانت معظم المنطقة حضرية، بينما تنتشر المناطق الريفية على أطرافها الجنوبية، والشمالية، والشرقية. لقد أهمل النظام السابق والحكومة الحالية للعراق منطقة 9 نيسان. فكانت الخدمات الضرورية في معظم تلك المنطقة، لا سيما الكهرباء والماء، شحيحة بدرجة كبيرة خلال هذه الفترة. وضم الحي الشمالي الشرقي لمنطقة 9 نيسان مقلب نفايات مدينة بغداد، الذي لم يكن أكثر من مقلب قمامة مفتوح. وكان كثير من الفقراء المعدمين يعيشون في مقلب القمامة، ويبنون منازلهم من النفايات. وخلال هذه الفترة ابتليت منطقة 9 نيسان بالفساد، مما جعل الحكم المحلي به غير فعّال.

كذلك كانت منطقة الزعفرانية جزءاً من منطقة عمليات فريق التضاريس البشرية IZ5. وضمت المنطقة السياسية للكرادة منطقة الزعفرانية، التي كانت في الجزء الجنوبي من المنطقة. ومثلها مثل 9 نيسان، تعرضت الزعفرانية للإهمال من جانب الحكومة وكان لها قاعدة اقتصادية اجتماعية أدنى.

تصميم مبدئي للأبحاث

ضمت المنطقتان في الإجمال 13 حياً. وأدى إهمال حكومة العراق والمشاركة المحدودة لقوات التحالف خارج منطقة العمليات القتالية إلى وجود فراغ ملأته الميليشيات الطائفية (معظمها شيعية) والمجرمون المحليون. وقال نائب قائد الفريق القتالي باللواء إن هذه المناطق سوف تتفكك إذا انسحب الفريق منها، وكلف فريق التضاريس البشرية IZ5 بمعرفة أسباب ذلك وما يمكن عمله إزاءه. (لم تكن هناك معلومات تذكر عن التضاريس البشرية في هذه المناطق).

يزود فريق التضاريس البشري الوحدة بقدرات فريدة، ولكن هذه القدرات لا تضيف قيمة إلا عندما يجيب الفريق عن أسئلة ذات صلة بالعمليات. مفتاح ذلك أنه من الضروري أن تكون الأبحاث ذات صلة بالعمليات. وفي حين أن الإرشادات عامة بطبيعتها، يجب أن تكون واضحة بما يكفي للسماح للفريق ببناء تصميم سليم للأبحاث.[8]

بالنسبة للفريق IZ5، أدت الإرشادات العامة الخاصة بمنطقة 9 نيسان ومنطقة الزعفرانية إلى الخطوة التالية في العملية، وهي بلورة خطة الأبحاث. قام قائد الفريق، بالتعاون مع أستاذي العلوم الاجتماعية، ببلورة خطة من مرحلتين للإجابة عن أسئلة اللواء. أدرك الفريق أن مشروع الأبحاث سيكون حساساً من حيث التوقيت بسبب التضاريس المركبة وقلة المعلومات بشأنها. كما عرف الفريق أن هذه المناطق غير مباحة بسبب المستوى المرتفع لأعمال العدو. وفرض ذلك قيودا على حرية الحركة خلال الأشهر الأولى من الأبحاث.

انطوت المرحلة الأولى من الخطة على تطوير خط معلومات أساسي عن طريق مقابلات لأفراد من التحالف يتمتعون بخبرات عملياتية. وإضافة إلى وحدات المناورة، أجرى الفريق IZ5 مقابلات مع فرق انتقالية، وفرق شئون مدنية، وفرق عمليات نفسية كانت على دراية بالمناطق الرئيسية التي تواجه مشاكل ثم قام بتجميع كل المعلومات في قاعدة بيانات. وقد خدم ذلك غرضين. الأول، وضع خطاً أساسياً للمعلومات، ماذا عرف الفريق القتالي باللواء بصورة

إجمالية (أو حسب تعبير واحد من أساتذة العلوم الاجتماعية، ماذا ظنوا أنهم يعرفوه) والثاني، حدد الفجوات في المعلومات. وسيكون سد هذه الفجوات هو محور المرحلة الثانية.

وبينما كان الفريق يبني الخط الأساسي للمرحلة الأولى، انتشر أعضاؤه إلى المناطق المتضررة لإجراء مقابلات مع الوحدات العاملة هناك. وبدءاً بقادة وأركان الكتائب، عمل أعضاء الفريق على جمع تقارير وإجراء مقابلات. وكانت الخطوة التالية إجراء مقابلات على مستوى السرية ومع جنود كانوا يجوبون الشوارع يومياً. وحلل الفريق المعلومات المجمعة ليرى إن كانت بها أي فجوات. وأثمر هذا النشاط عن تقارير كتابية عن كل حي مع أسئلة إضافية لتسترشد بها أبحاث المرحلة الثانية في المستقبل. لقد استغرق استكمال المرحلة الأولى نحو خمسة أسابيع. عندئذ عرض الفريق تقارير أبحاثه على أولئك الذين أجريت مقابلات معهم للتحقق من دقتها. وعبّرت هذه التقارير عن مناقشات الفريق القتالي باللواء حول تحديد معالم الطريق إلى الأمام.

عمليات لامركزية

لجمع معلومات للمرحلة الثانية من الخطة، توجه كل اثنين من أعضاء الفريق أو كل واحد في المرة الواحدة وأمضوا ستة أسابيع على مستوى السرية وانغمسوا في العمليات. وقد سمح لهم الانخراط على هذا المستوى والإقامة والعمل من مخافر قتالية أو محطات أمنية مشتركة بالتواصل المباشر مع العراقيين من مواقع عديدة. وكان هذا النهج غير المركزي لجمع المعلومات مختلفاً عن تدريب أنظمة التضاريس البشرية. وشدد التدريب على الإبقاء على وحدة الفريق حتى يمكن أن تسهم المهارات والمواهب الفردية لكل عضو فيه في المجهود الحاشد.

وبسبب الطبيعة العامة لمتطلبات اللواء من المعلومات والافتقار النسبي للمعلومات على امتداد منطقة عريضة، أصر قائد الفريق على أن النهج غير المركزي ضروري للسماح بتغطية أوسع وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التفصيلية. انتقل فريق إلى مركز الحكومة بالزعفرانية (جنوبي الكرادة). وكان هذا المكان مفيداً لأنه كان محور نشاط للعراقيين، والمواطنين العاديين، وقوات الأمن العراقية، والمسؤولين الحكوميين الذين كانوا يظهرون هناك على أساس يومي. وخلال هذا الوقت ركز بقية فريق IZ5 على منطقة 9 نيسان، وتحرك حول الأماكن القتالية للسرية المقيمة لجمع البيانات.

كان النهج غير المركزي جديداً. فمن الناحية النظرية سمح تركيز الفريق على منطقة واحدة للمهارات الموحدة بخلق تآزر لتحقيق أقصى قدر من المنفعة. وقام أستاذ العلوم الاجتماعية بإشراف وثيق على الأبحاث التي أجراها محللو التضاريس البشرية ثم ربط كل شيء بعضه ببعض. وسمح الإبقاء على أعضاء الفريق كوحدة واحدة للفريق بالتركيز فعلاً وتحصيل قدر عميق جيد من الفهم، ولكن ثبت أن تركيز الفريق غير عملي في ضوء المهمة. سمحت العمليات غير المركزية للفريق بالانتشار عبر المنطقة واكتساب فهم أفضل للأحياء على نحو أسرع مما لو كان الفريق قد ركز على حي واحد في المرة الواحدة. كذلك قلل التوظيف اللامركزي العبء عن السرايا التي توفر الدعم المعيشي للفريق. لقد كان توفير مساحة للإقامة، ومناطق عمل، ووسائل انتقال، وأمن لكل واحد أو اثنين من أعضاء الفريق أسهل بكثير من توفيره لخمسة أو ستة منهم.

بعد أن وصلت كقائد للفريق في أيلول/ سبتمبر 2008، أبقيت على التوظيف اللامركزي للفريق. وحتى بعد استكمال المرحلة الثانية، ظل أعضاء الفريق

يعملون مع كتائبهم المختصة. وتمكنت الفرق من المحافظة على العلاقات الشخصية الهامة التي وطدوها مع كبار الزعماء المحليين، وهو أحد متطلبات الفرق فيما استعدت لفترة الإعفاء في الموقع/ انتقال السلطة المرتقبة للفريق القتالي باللواء.

وصول الإعفاء من النوبة/ نقل السلطة

إن مناوبات فريق التضاريس البشرية مجدولة عن قصد بحيث لا تتزامن مع فترة الإعفاء في الموقع لكي يتمكن أعضاء الفريق على الأرض من مساعدة الوحدات الجديدة على فهم التضاريس البشرية في مناطقها.[9] ويحتفظ الفريق بقاعدة بيانات للتضاريس البشرية في نظامين منفصلين حتى لا تضيع المعلومات التي يتم جمعها سنة بعد سنة مع انتقال الوحدات ومغادرتها.

قام فريق التضاريس البشرية IZ5 بدعم إعفاء الفريق القتالي باللواء في مرحلتين. الأولى، أردت في معرض الإعداد لوصول الفريق القتالي الثالث باللواء، الفرقة 82 المحمولة جواً، تحديث واستكمال تقييم كامل للتضاريس البشرية لمنطقة العمليات بأسرها. وانطوى ذلك على توسع الفريق ليمتد إلى الحي السياسي للرصافة. لم يكن هناك تاريخ لقيام فريق التضاريس البشرية بعملية جمع في هذه المنطقة. وبالنظر إلى أن الفريق كان يركز جهوده على منطقة 9 نيسان ومنطقة الزعفرانية، فإن العمل في الرصافة كان سيتجاوز طاقة إمكانيات الفريق. غير أنه مع اقتراب استكمال معظم خطة الأبحاث في تلك المناطق، تمكنت من تكليف محللة واحدة للتضاريس البشرية بالعمل مع الوحدة المنصرفة في الرصافة. وأصبح العمل الذي استكملته بالغ الأهمية بعد بضعة أشهر عندما اعتقلت قوات الأمن العراقية عادل المشهداني.

التقط صورة الجندي الأمريكي الرقيب أول جيمس سيلينيك

العقيد تيموثي ماكغوايير يتحدث مع جندي أثناء دورية مشتركة مع الشرطة العراقية خارج قاعدة عمليات أمامية في شرق بغداد، العراق، 13 حزيران/ يونيو 2009.

كان من المهام الرئيسية في المرحلة الأولى تحديث تقاريرنا حول 9 نيسان والزعفرانية. وأجرى واحد من أساتذة العلوم الاجتماعية للفريق مقابلة مع أعضاء آخرين بالفريق لتحديث الظروف منذ الربيع والصيف السابقين. كما تولى الفريق وضع مخططات لشبكة اجتماعية لتظهر الارتباطات. وكانت هذه أول محاولة لنا لوضع رسم بياني لشبكة بيئة العمل تبين كيفية ارتباط كبار الزعماء ببعضهم البعض من خلال اتصالات دينية، وقبلية، وعائلية، وسياسية، واجتماعية.

انطوت عملية تمرير المعلومات إلى الفريق القتالي المقبل على خطوتين رئيسيتين. تمثلت الخطوة الأولى الربط بقيادة الفريق القتالي باللواء على مستوى أكاديمية مكافحة التمرد للفيالق المتعددة الجنسيات بالعراق في قاعدة التاجي الجوية. وبصفتي قائد الفريق، أمضيت خمسة أيام مع قائد الفريق القتالي باللواء، وقادته وكبار أعضاء أركانه. وزودت جميع القادة بنسخ من تقاريرنا الحديثة حتى يفهموا التضاريس البشرية داخل مناطقهم المختصة. كما قدمت لهم إيجازاً بشأن المعلومات والقدرات. وبالنظر إلى أن الفريق القتالي باللواء عمل مع فريق خلال تدريباته التمهيدية للانتشار، فقد كان ملماً بمفهوم فريق التضاريس البشرية. وكنت قادراً على تزويد القادة بمنتجات فعلية لأبيّن لهم ليس ما نستطيع أن نفعله وحسب وإنما أيضاً كيف فعلناه.

وتمثلت الخطوة الثانية في المحافظة على التوظيف اللامركزي للفريق في 9 نيسان، والزعفرانية، والرصافة. ولم يستقبل الفريق الكتائب الجديدة إلا عندما دخلت القطاعات لاستكمال عملية الإعفاء في الموقع. وأصبح محللو التضاريس البشرية، بصورة أساسية، مستشاري تضاريس بشرية لقادة الكتائب؛ وقمت أنا بنفس الدور في مقر الفريق القتالي باللواء. وقدمنا القادة لكبار الزعماء العراقيين. وفيما تحولت العمليات في المنطقة إلى عمليات معظمها غير قتالي، كان التواصل مع كبار الزعماء بالغ الأهمية بالنسبة للوحدة المقبلة. وزود فريقنا الكثيرين من كبار الزعماء بمعلومات تمهيدية قيّمة. وعمل أعضاء الفريق مع الكتائب طوال الأشهر القليلة التالية.

عمليات اللواء 82 المحمول جواً

يتعين على القادة أن يحددوا هدفاً واضحاً أو المعلومات المطلوبة التي تمكّن فريق التضاريس البشرية من التركيز على جهوده.

سرعان ما تلت ذلك تغييرات بارزة في ظروف العمليات. من بينها تنفيذ الاتفاق الأمني بين العراق والولايات المتحدة، وإجراء انتخابات المجالس الإقليمية، وأحداث دينية رئيسية، وإعادة تخطيط حدود عدد من الفرق القتالية باللواء والكتائب وحركة خروج القوات الأمريكية من بغداد. ولأن كل تغيير أثر على الشعب العراقي، فقد لعب الفريق دوراً رئيسياً في عمليات الفريق القتالي باللواء. وأملت هذه العلاقة إحداث تحول في طريقة عمل الفريق. ومع الظروف المتغيرة في بيئة العمل، بدأ الفريق في إجراء أبحاث حول قضايا أكثر تحديداً.

تحت قيادة اللواء الرابع بالفرقة العاشرة، عمل الفريق IZ5 لحساب منسق المؤثرات وشارك في جميع اجتماعات الخلايا الخاصة بالمؤثرات. عندئذ تغيرت العلاقة القيادية. وأصبح فريق التضاريس البشرية قسماً خاصاً من أركان الفريق القتالي باللواء ومشاركاً كاملاً في صنع القرارات وعمليات الاستهداف الخاصة بالفريق القتالي باللواء. وكان الاندماج في دورة الاستهداف الخاصة بالفريق القتالي باللواء عنصراً حاسماً لتوفير الدعم. وبينما كنت

أتلقى مهام محددة في إرشادات القائد. كان علي أيضاً أن أحدد المهام الضمنية التي كنا في حاجة إلى إنجازها، ثم توزيع الموارد لتلبية متطلبات المعلومات. وكثيراً ما انطوى ذلك على قيام الفريق بدراسة أكثر من حي أو منطقة في المرة الواحدة. وبصفته قسماً خاصاً في الأركان، كان على الفريق أن يستجيب لمعلومات محددة من الفريق القتالي باللواء، الأمر الذي اقتضى اتباع نهج أكثر مركزية. ونظراً لأن معظم متطلبات المعلومات اشتملت على جمع معلومات عبر منطقة العمليات بأسرها، واصل الفريق العمل مع واحد أو اثنين من أعضاء الفريق في كل منطقة كتيبة. غير أن أولويات أبحاثهم انتقلت إلى الرد أولاً على أسئلة الفريق القتالي باللواء.

بات الفريق IZ5منخرطاً في دعم التواصل مع كبار الزعماء. وبعمله مع ضباط الشئون المدنية وضابط شئون التدريب (عمليات المعلومات)، أجرى الفريق تقييمات رئيسية لكبار الزعماء قبل أن يجتمع القائد أو نائبه مع أولئك الزعماء. وقمنا بتحديد الشبكات الاجتماعية التي يتنقل فيها أولئك الزعماء واتصالاتهم مع زعماء سياسيين، ودينيين، وقبليين، وكبار رجال أعمال آخرين. وكان بناء تلك الشبكات عملية مستمرة. وعمل الفريق عن قرب مع ضباط الدعم النيراني بالكتيبة الذين نسقوا الكثير من الاجتماعات مع كبار الزعماء على مستوى الكتيبة. كما زود الفريق الكتيبة بمعلومات تم جمعها من مصادره الخاصة لفحصها مجدداً. فلإدراكه أن المعلومات من العراقيين المحليين قد تكون مشوهة، أراد الفريق أن يتأكد من أن نتائجه مطابقة لما تراه الكتائب في مناطقهم. وبعمله ذهاباً وإياباً مع الكتائب، تمكن الفريق IZ5 من وضع مخططات شاملة للشبكات الاجتماعية.

كما احتفظ الفريق ببطاقات سيرة ذاتية وضعها الفريق القتالي باللواء (يُطلق عليها عادة بطاقات البيسبول) لكبار الزعماء. وتزود هذه البطاقة ذات الصفحة الواحدة القائد وأركانه بمعلومات خلفية ذات صلة عن الأفراد. وعمل الفريق مع الكتائب لتحديث هذه المعلومات. وكثيراً ما اجتمع قادة الكتائب مع كبار الزعماء قبل أن يجتمع بهم الفريق القتالي باللواء، وكان بحوزتهم أحدث معلومات عن أولئك الأفراد. وأصبحت هذه السيرة الذاتية القصيرة جزءاً مهماً في إعداد حزمة المعلومات التمهيدية عن كبار الزعماء.

أجرى الفريق IZ5 الكثير من هذه الاجتماعات بالتعاون مع عناصر أخرى من الفريق القتالي باللواء، من بينها سرية الشئون المدنية، وكتائب، وفرق انتقالية. وكان الهدف الرئيسي خلال هذه الاجتماعات هو اكتساب فهم لمشاعر كبار الزعماء إزاء قضايا معينة ذات أهمية مثل الانتخابات، وماذا تعني بالنسبة للعراقيين في المنطقة، ووجهات نظرهم في الاتفاقية الأمنية، وما هو شعور السكان المحليين تجاه أثرها على حياتهم.

وتم إدراج الشبكات الاجتماعية، وبطاقات السيرة الذاتية، وتقارير الاجتماعات جميعاً في حزمة القائد بالمعلومات التمهيدية إلى جانب أي معلومات استخباراتية تتعلق بالاتصالات بأشخاص مهمين. وحتى مع تنفيذ خطة الجمع المركزية، عمل الفريق مع ذلك بصورة وثيقة مع كتائب وسرايا، لأنها كانت أفضل سبل يستعين بها أعضاء الفريق في الخروج والتحدث مع الشعب العراقي.

لم يكن لدى الفريق موارد خارجية واعتمد على عناصر أخرى لدعم معيشته، ووسائل انتقالاته، وأمنه. لذلك، قرر أعضاء الفريق أن من الأهمية بمكان إعطاء قيمة لهذه القيادات الأدنى المستوى. وأسفر ذلك عن تعاون أوثق مع قادة الوحدات الأدنى. وقبل أن نخرج في مهمة ما، كنا نسأل عما يحتاجونه من معلومات. وفي الرصافة، قدم قائد قوات قائمة بالمعلومات المطلوبة عن طريق قادة سربه. وكانت هذه الأسئلة قيّمة في أنها سمحت لنا معرفة ما يحتاج القائد إلى معرفته حتى نتمكن من تركيز جهودنا طبقاً لذلك. وقمنا بإدراج

المعلومات المطلوبة من جميع المستويات القيادية في تصميمنا البحثي.

استخدم أعضاء الفريق الكثير من الوسائل المختلفة لجمع المعلومات. فقد تواصلوا مع الناس في الشارع أو المقاهي بينما حضرت الدوريات الأمريكية المرافقة اجتماعات للمجالس البلدية ومجالس الحي. ولأننا اعتمدنا على عنصر الدعم في توفير الأمن، ووسائل الانتقال، قمنا بتنسيق كل اجتماع مع الوحدة. لقد أثبت التوظيف اللامركزي مقروناً بوسيلة الجمع المركزية فعاليته.

نقاط رئيسية

في شرق بغداد، وفر الفريق IZ5 فهماً قيّماً لقائدين متعاقبين للفريق القتالي باللواء. وفيما تستمر العمليات العسكرية في العراق وأفغانستان، ستواصل فرق التضاريس البشرية دعم الفريق القتالي باللواء بتزويده بقدرات ممتازة لأبحاث العلوم الاجتماعية. وفيما يلي بعض النقاط الرئيسية التي ستساعد في تمكين القادة من الاستعانة بفرق التضاريس البشرية على نحو فعّال.

أهداف واضحة. يجب على القادة أن يعرضوا هدفاً واضحاً أو المعلومات المطلوبة التي تمكّن فريق التضاريس البشرية من تركيز جهوده. ولا يعني هذا بالضرورة أن يكون التركيز مقيّداً.

وقد استعان اللواءان بالفريق IZ5 بطريقتين مختلفتين ولكنهما على نفس القدر من الفعالية. وكانت الإرشادات من اللواء الرابع بالفرقة العاشرة إلى الفريق IZ5 لفهم 9 نيسان والزعفرانية واضحة وضوحاً كافياً لقيام الفريق بتصميم الأبحاث التي استجابت لسؤال الفريق القتالي باللواء. وتحت قيادة اللواء الثالث بالفرقة 82، كانت الإرشادات تميل إلى أن تكون محددة أكثر، مثل تقييم كيف ينظر الناس إلى اتفاقية الأمن العراقية الأمريكية. وفي كلتا الحالتين، تمكن الفريق من إجراء أبحاثه بفعالية. لقد ضمنت الإرشادات الواضحة إجراء بحث عملياتي ذي صلة. واعتبر اللواءان الفريق IZ5 مساهماً قيّماً في معركة الفريق القتالي باللواء. فقد أحدثت الإرشادات الواضحة فرقاً.

ظروف بيئة العمل. إن ظروف بيئة العمل تملي كيفية توظيف فريق التضاريس البشرية على الأرض. إن الاختيار بين اتساع أو عمق التغطية مسألة دقيقة. وقد سمحت الظروف في منطقتنا وأهدافنا البحثية للفريق بأن يعمل بأسلوب لامركزي. وكانت طبيعة ما كنا نبحث عنه واسعة فيما يتعلق بالمساحة الجغرافية، لذلك سمح لنا العمل عبر بيئة العمل بمشاهدة صورة أكبر. غير أن بعض المهام تطلبت مجهوداً موحداً. وكان من بين تلك المهام واحدة حددها نائب القائد تقضي بإجراء مقابلة مع أشخاص يحضرون مباراة محلية لكرة القدم تحت رعاية الفريق القتالي باللواء. وبالنظر لأن فرق كرة القدم والجمهور جاؤوا من كافة المناطق من أجل المباراة، تضافر الفريق بأسره لجمع البيانات.

تميل أبحاث الفريق إلى استنزاف وقت طويل. كما أن الوقت المتاح للاستجابة لأسئلة الفريق القتالي باللواء يلعب دوراً في تحديد كيفية توظيف الفريق. وأخيراً، فإن فعالية الفريق في الاستجابة للمعلومات التي يطلبها الفريق القتالي باللواء تتناسب مع الفرصة المتاحة للتحدث مع السكان المحليين. بمعنى آخر، فإن الفريق لا ينجز شيئاً ذا قيمة بجلوسه في مقر الفريق القتالي باللواء. فمهما كان المستوى الرفيع لخبرات أعضاء الفريق، فإنهم في حاجة إلى أداء قدر مكثف من العمل الميداني. إن الخلفية الأكاديمية لأستاذ العلوم الاجتماعية في الفريق قد تعطيه بعض المصداقية المبدئية، ولكن لا يمكن لأي تعليم في فصل الدراسة أن يحل محل التواجد على الأرض والتحدث إلى الناس. ويتعين على فريق التضاريس البشرية وأعضاء الفريق القتالي باللواء أن ينظروا في جميع الموارد التي تمكنهم من التحدث إلى الناس.

لقد استخدم الفريق IZ5 الكثير من الوسائل المختلفة للتحدث مع الناس/ من بينها:

- مرافقة قادة الفريق القتالي باللواء، والكتيبة، والسرية إلى اجتماعات المجالس المحلية.
- المشاركة في دوريات الفصائل والفرق الانتقالية.
- العمل مع قطاعات الشئون المدنية والعمليات النفسية.
- المشاركة في الاجتماعات بقاعدة العمليات الأمامية.
- العمل في صفوف السرية.

لقد أثبت العمل في صفوف السرية أنه أكثر وسيلة فعالة ودائمة تتيح للفريق IZ5 التواصل مع الناس. ومن الواضح، أن مهمة السرية، وخطورة البيئة، والوقت المتاح هي التي تحدد المدى الذي يتيح لأعضاء الفريق التواصل مع الناس. وبأي وسيلة كانت، فإن الفريق في حاجة إلى أن يتواجد على الأرض ويتحدث إلى السكان المحليين.

المستقبل

سيظل نظام التضاريس البشرية ينشر فرق التضاريس البشرية للعمل مع الفرق القتالية باللواء في المستقبل المنظور. فباستطاعة الفريق أن يزود القائد بقدرات بحثية فريدة تتيح قدراً أكبر من الفهم للتضاريس البشرية الحيوية في بيئة العمل للفريق القتالي باللواء.

وبدعمه فريقين قتاليين منفصلين في شرق بغداد، وفر فريق IZ5 هذه القدرات وأتاح لكلتا القيادتين فهم الناس وإدراج أهميتهم كعامل تحليلي في العمليات العسكرية.

إن باستطاعة فريق التضاريس البشرية، إذا كانت لديه إرشادات حول الأولويات البحثية وحرية الاتصال بالناس، أن يكون رصيداً قيّماً للفريق القتالي باللواء في العمليات الدائرة حالياً في كل من العراق وأفغانستان.

ميليتاري ريفيو

ملاحظات هامشية

1. الكتيب الميداني للجيش 24-3 (FM)، مكافحة التمرد (واشنطن دي سي. مكتبة مطبعة الحكومة الأمريكية، كانون الأول/ ديسمبر 2006)، 1-22، 1-23.
2. نفس المرجع السابق، 1-23.
3. أنظر http://humanterrainsystem.army.mil/htstimeline.html.
4. الكتيب الميداني 24-3 FM، 1-28.
5. أنظر www.aaanet.org/about/Policies/statements/Human-Terrain-System-Statement.cfm.
6. المقدم جيمس سي. كرايدر، "نظرة من داخل القوات الإضافية"، ميليتاري ريفيو (آذار/ مارس- نيسان/ إبريل 2009): 81.. <http://usacac.leavenworth.army.mil/CAC2/MilitaryReview/Archives/English/MilitaryReview_20090430_art010.pdf>.
7. أثناء مدتي كقائد فريق، ضم الفريق IZ5 ما بين خمسة وتسعة عاملين، بقائد فريق واحد، ومدير أبحاث واحد، وعالم أو اثنين في العلوم الاجتماعية، وثلاثة إلى خمسة محللين في التضاريس البشرية. وكان الارتباك في العاملين قضية دائمة، فيما حدثت عملية تبديل للعاملين تصل إلى 100 في المائة خلال مدتي كقائد للفريق.
8. تصميم الأبحاث هو تطوير مهام حول الكيفية التي سيجمع بها الفريق البيانات ويطور منتجات تستجيب للمتطلبات المعلوماتية للفريق القتالي باللواء. وهي أكثر تحديداً من خطة الأبحاث، التي تركز بصورة عامة على ما سيفعله الفريق.
9. من الناحية العملية، تتم معظم عمليات انتشار فرق التضاريس البشرية كاستبدالات فردية، وليس لفرق بأسرها. وتستغرق النوبة العادية لعضو الفريق تسعة أشهر. وأثناء مدتي كقائد فريق، جرى تبديل العاملين بنسبة 100 في المائة تقريباً. لذلك فبالإضافة إلى تدريب وحدات جديدة على بيئة العمل، كان علي أن أواصل توعية أعضاء الفريق على الدوام. غير أنه خلال مدة إعفاء الفريق القتالي باللواء، كان معظم أفراد فريقي متواجدين في بيئة العمل لعدة أشهر.

Human Terrain Team Operations in East Baghdad
Lieutenant Colonel Jonathan D. Thompson, U.S. Army
Originally published in the English July-August 2010 Edition.